فلقد عاش المبارك بن أحمد ابن أبي البركات اللخمي المشهور بابن المستوفي (٥٦٤ هـ / ٦٣٧هـ) في عصر اتسم بالغزارة العلمية والثراء الأدبي فقد شهدت الخلافة الإسلامية توسعاً ملحوظاً تناسب مع الإزدهار الأدبي ، حيث اهتم العلماء والمترجمون بالتآليف العلمية التي كانت تلقى تشجيعا من الخلفاء آنذاك ، مما كان له أثر كبير في توجه ابن المستوفي وغيره من الذين انبروا لوضع الكتب في النقد والشعر وغيرهما من الفنون.

وما سبق جاء حافزا للباحث على تناول أحد أعلام تلك الحقبة فكان كتاب (النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام) من أفضل الكتب الموضوعة في هذا الغرض رصدا للأخطاء التي وقع فيها الشعراء, وكذلك ما استدرك عليه اللغويون والنقاد ولما كانت الآراء والاستدراكات على الشعراء مما يهدم ثوابت كثيرة لدى القارئ التي قرت في نفسه أبيات بعينها مما عدها من جيد الشعر وصور عديدة اصطفت في مخيلته انموذجاً لجيد التصوير فقد لحظ الباحث ارتباط هذا السفر الخطير بثوابت نظرية التلقي التي اهتم واضعها بعقد الصلة بين ما قد ثبت في ذهن القارئ من مفاهيم وبين ما استجد عليه من تصورات جديدة قوضت لديه ما كان يتوقعه وجاءت هذه النظرية التي تجعل القارئ في بؤرة اهتمامها نتيجة عدة عوامل ساعدت على ظهورها ، ربما كان من أهمها الرد على بعض الأتجاهات النقدية التي جعلت النص صاحب السلطة العليا ملغية بذلك دور المبدع والمتلقي ، ومنعت هذه النظرية الحد من سلطة النص من دون

أن تهمله أو تلغيه ، كما أنها في اتجاهها وتمحورها حول القارئ لم تلغ دور المبدع ولم تتجاهله تماماً ، وتقوم الدراسة على فرضية رصد العلاقة بين كتاب النظام في شعر المتنبي وأبي تمام من منظور نظرية التلقي ، وهو الجديد في الدراسة إذ لم يسبق تطبيق نقدي على هذا الكتاب بحسب تتبعي ، كما توافرت لدى الباحث مجموعة من الدراسات التي تناولت نظرية التلقي وقد افاد منها الباحث كثيراً وهي :

١ – قضية التلقي في النقد العربي القديم عند العرب : الدكتورة فاطمة البريكي .

٢ – نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد المغاربي كتاب المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها ادريس بلميح انموذجاً : آمنة سعاد معمري.

٣–التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري : مراد حسن فطوم.

واقتضت الخطة أن تكون الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة حيث تناول التمهيد ترجمة لابن المستوفي وأهم الظروف التي أثرت فيه وتميزه العلمي فضلاً عن نتاجه التأليفي ، إلى تناول محتوى كتاب النظام مع ماله وماعليه ، وأهم مصادره ، وتناول نشأة نظرية التلقي ومناقشة أهم مفاهيمها وثوابتها .

أمّا معالجات الفصل الأول فقد اتجهت نحو انواع المتلقين في كتاب النظام ثلاثة مباحث ، حيث تناول المبحث الأول المتلقي النحوي واللغوي ، والذي يمكن القول أنّه لا يوجد نقد قويم ومستقيم يغفل فيه الجوانب اللغوية والنحوية ، وتم أخذ ثلاثة من أساطين اللغة والنحو وهم الواحدي ، وأبو البقاء العكبري ، وأبو الفتح بن جني في حين تناول المبحث الثاني المتلقي النقدي والبلاغي إذ إنّ كتاب النظام في المقام الأول هو كتاب نقدي ، بل حتى اختيار الشاعرين خضع لوجهة نقدية وتناولت قامتين من أعمدة النقد هما الآمدي والمرزوقي.

وتناول المبحث الثالث المتلقين الراوي والشاعر والتاريخي ويمكن القول أنَّ هذه الاهتمامات الثلاثة قد أهملها الكثيرون، ولاسيما الجانب التاريخي من مناسبات ، أو حوادث ، أو التعرض لبعض الشخصيات المهمة ، وتم تسليط الضوء على شاعرين هما الشريف المرتضى وأبو العلاء المعري .

أما الفصل الثاني فقد توجه اهتمام البحث فيه إلى (آليات الشراح ومناهجهم ومقاييسهم) في أربعة مباحث إذ تناول المبحث الأول تأصيل النص ، وفي هذا المبحث يقوم الباحث على بيان مجموعة من المقاييس التي اعتمدها الشراح داخل كتاب النظام ، وعلى وفق هذه المنهجية توزعت بين التوثيق والأسلوب والمعجم ، وكذلك مناقشة حوارية النصوص ، وتناول المبحث الثاني تلقي التناص وحوار النصوص في حين تناول المبحث الثالث الآلية الحجاجية عند بعض الشراح ، وهذا المقام مقام خصومة وانصاف ومقارنة لإنصاف أحد الشاعرين بعد عرض الآراء .

فيما تطرق الفصل الثالث إلى(الخطاب الشعري في شرح النظام بين اشكالية التبليغ والتلقي) في ثلاثة مباحث ، حيث تناول المبحث الأول ابن المستوفي تلقياً وايجابياً وقد ناقش الباحث في ركيزة التلقي عند ابن المستوفي ، وكذلك التلقي وأثره في اختيار الشاعرين والأبيات.

وتناول المبحث الثاني المنطلقات البلاغية العروضية لتحليل الخطاب الشعري عند ابن المستوفي ، حيث دقق ابن المستوفي النظر في مجموعة من القضايا منها قضية الحشو والانحرافات العروضية وغيرها .

في حين تناول المبحث الثالث الخطاب الشعري والفعل الإبلاغي على وفق التلقي عند الشاعرين، وناقش فيه الباحث تأثر ابن المستوفي بمن سبقه من الشراح والدوافع التي دفعته الى تأليف كتابه.